

لطف الله تعالى بعبده

تصنيف العلامة

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي

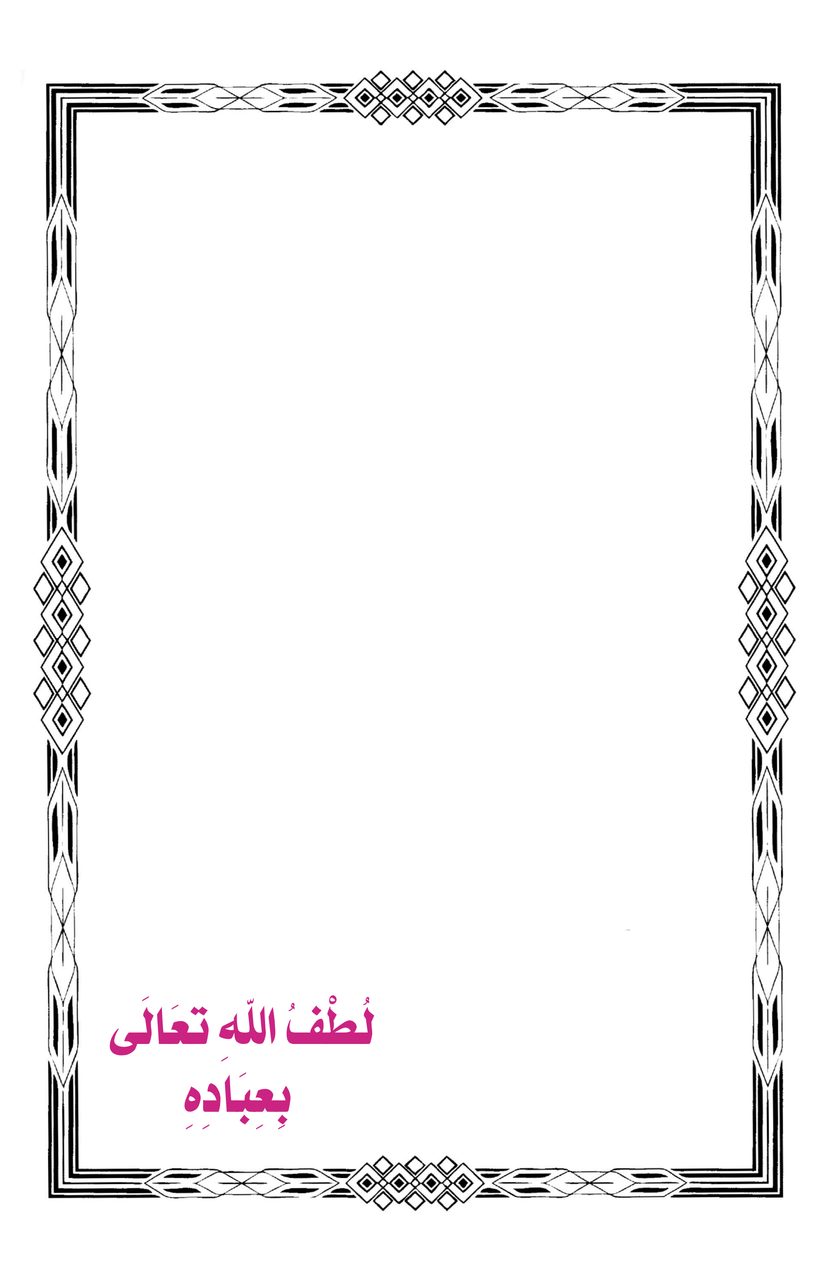
المتوفى سنة (١٣٧٦) رحمه الله تعالى

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع



لُطْفُ اللّهِ تعَالَى بِعِبَادِهِ



دار الفرقان للنشر والتوزيع -١٤٤٠/٢٠١٩

ردمك : ٩٧٨-٩٩٣١-٦١٦-٢٢-١

الإيداع القانوني: السداسي الأول، ٢٠١٩

Dar Al-furquan Edition. 2019

ISBN: 978-9931-616-22-1

Dépôt Légal: 1er semestre. 2019



الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ — ٢٠١٩ م

دار الفرقان للنشر والتوزيع

المقر التجاري: ٢٠ شارع أحمد حسينة

باب الوادي – بجوار مسجد السنة - الجزائر

جوال: ١٠ ٥٨ ٩٦ ٥٥٦ (٠) ٢١٣ ٠٠

dar.alfurquan@gmail.com



تصنيف العلامة

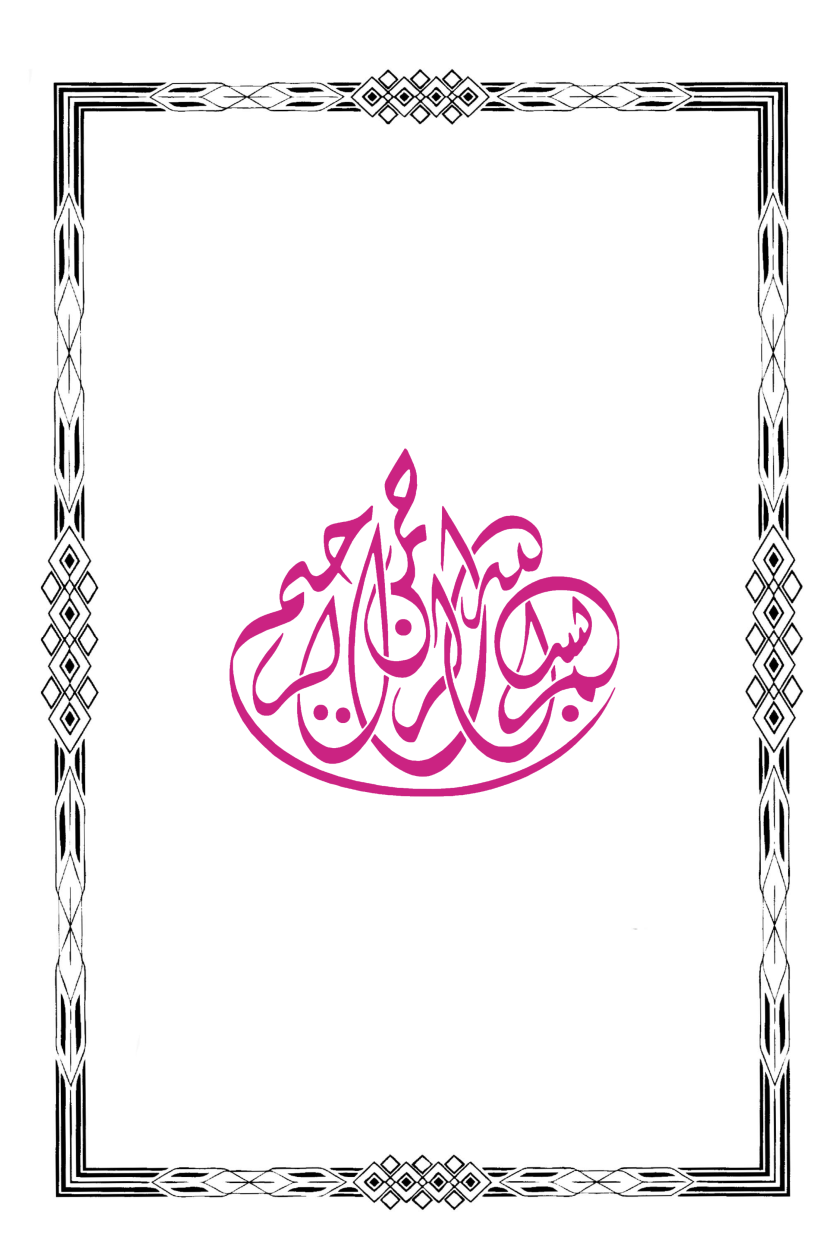
عَبدُ الرّحْمَن بن نَاصر بنِ عَبدِ اللهِ بنِ سِعْدي

المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ

إعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ المُكَلَّفِينَ لِيَعْبُدُوه، وَأَدَرَّ عَلَيْهِمْ الأَرْزَاقَ لِيَشْكُرُوه، وَوَضَّحَ لَهُمْ الأَدِلَّةَ وَالبَرَاهِينَ لِيَعْرِفُوه، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله الَّذِي يَتَعَيَّنُ عَلَى العِبَادِ أَنْ يُوَحِّدُوه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي فَاقَ الرُّسُلَ مِنْ جَمِيعِ الوُجُوه، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ جَمِيعَ الَّذِينَ اتَّبَعُوه.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي الله ..إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله:

إِنَّ العِلْمَ بِالله أَشْرَفُ العُلُوم، وَأَفْضَلُ الفُهُوم، وَهُوَ أَجَلُّهَا عَلَى الإِطْلَاق، وَأَنْفَعُهَا بِاتِّفَاق، وَهُوَ عِلْمٌ مُبَارَك، كَثِيرُ

العَوائِد، غَزِيرُ الفَوائِد، وَمُتَنَوِّعُ الثِّمَار وَالآثَار.

يُورِثُ تَعْظِيمَ عَلَّامِ الغُيُوب فِي القُلُوب، فَتُثْمِرُ شَجَرَةُ الإِيمَانِ اسْتِسْلَامًا وَإِسْلَامًا، إِيقَانًا وَإِحْسَانًا.

فَالاشْتِغَالُ بِطَلَبِهِ وَالعَمَلُ بِمُقْتَضَاه، اشْتِغَالٌ بِأَعْلَى المَطَالِب، وَحَصُولُهُ وَتَحْصِيلُهُ لِلْعَبْدِ مِنْ أَشْرَفِ المَوَاهِب، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الله تَعَالَى تَدْعُو إِلَى مَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَإِخْلَاصِ العَمَلِ لَه، وَهَذَا عَيْنُ سَعَادَةِ العَبْد؛ وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الله، **إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي فَهْمِ مَعَانِيهَا**، وَتَدَبُّرِ آيَاتِهِ الكَوْنِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

وَإِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى«اللَّطِيف»؛ وَهَذَا الاسْمُ دالٌّ عَلَى الجَمَال وَالجَلَال وَالكَمَال لله الكَبِيرِ المُتَعَال، الَّذِي تَتَعَلَّق بِهِ الآمَال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وَلِذَا تَوَسَّعَ بَعْضُ العُلَمَاءُ فِي شَرْحِ هَذَا الاسْمِ، وَتَوْضِيحِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى العِلْمِ بِهِ وَبِمَعَانِيه.

أَخِي الحَبِيب:

«هَلْ لَدَيْكَ أَمَانٍ بَعِيدَةَ المَنَال، بَيْنَك وَبَيْنَهَا أَهْوَال؟

هَلْ أَخبَرَكَ الأَطِبَّاءُ أَنْ لَا أَمَلَ فِي شِفَاءٍ قَرِيبِكَ؟

هَلْ تَشْعُرُ بِاليَأْسِ لِأَنَّهُ مَا يُمْكِنُكَ أَنْ تفْعَلَهُ لَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ بِمَا تَتَمَنَّى حُصُولَهُ؟

إِذَنْ تَعَالَ مَعِي **لِنَتَعَرَّفَ عَلَى اسْمِ اللهِ اللَّطِيفِ** وَالَّذِي سَتَكْتَشِفُ إِذَا مَا تَأَمَّلْتَهُ أَنْ لَا مُسْتَحِيل فِي هَذِهِ الحَيَاة، وَأَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ أَحْلَامَكَ المُسْتَحِيلَةَ سَتَغْدُو

مُمْكِنَةَ التَّحَقُّقِ إِذَا مَا طَرَقْتَ بَابَ اللَّطِيفِ»[(١)].

وَمِنْ لُطْفِ اللهِ تَعَالَى بِي وَتَوْفِيقِهِ: وَقَفْتُ عَلَى هَذَا الكَلَامِ البَدِيعِ لِلشَّيْخِ العَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرٍ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ فِي بَيَانِ لُطْفِ اللهِ بِعَبْدِهِ مِنْ خِلَالِ كِتَابِهِ القَيِّمِ: «المَوَاهِب الرَّبَّانِيَّة مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّة»[(٢)].

وَمِنْ لُطْفِ اللهِ تَعَالَى بِي وَتَوْفِيقِهِ: قُمْتُ بِالتَّعْلِيقِ عَلَى هَذَا الكَلَامِ مِنْ خِلَالِ دُرُوسٍ أَلْقَيْتُهَا فِي أَحَدِ المَسَاجِد ولله الحَمْد؛ وَأَغْتَنِمُهَا فُرْصَةً لِأَقْتَرِحَ عَلَى إِخْوَانِي الأَئِمَّة

---

(١) «لِأَنَّكَ الله» (ص ٥٣).

(٢) قَالَ شَيْخُنَا عَبْدُ الرَّزَّاق بْنُ عَبْدِ المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ اللهُ فِي تَحْقِيقِهِ لِكِتَاب العَلَّامَة السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: «فَتْح الرَّحِيم المَلِك العَلَّام فِي عِلْم العَقَائِد وَالتَّوْحِيد وَالأَخْلَاق وَالأَحْكَام المُسْتَنْبَطَة مِنَ القُرْآن»: [وَانْظُرْ أَمْثِلَة نَفِيسَة جِدًّا لِهَذَا المَعْنَى فِي كِتَاب «المَوَاهِب الرَّبَّانِيَّة مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّة» للمؤلف رَحِمَهُ اللهُ (ص ٧٠ ـ وَمَا بَعْدَهَا)].

وَالمُدَرِّسِين إِلَى شَرْحِ هَذَا الكَلَام وَتَوْضِيحِهِ لِلنَّاسِ، وَسَيَرَوْنَ بِإِذْنِ الله ثَمَرَات ذَلِك.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ عَرَفَ الله بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعالِهِ أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ»[٣].

وَإِتْمَامًا لِلْفَائِدَةِ فَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى تَفْسِير العَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرٍ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ المُسَمَّى «تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن فِي تَفْسِير كَلَامِ المَنَّان» فَقَدْ ذَكَرَ فِي العَدِيدِ مِنَ المَوَاضِعِ مِنْهُ لُطْفَ الله تَعَالَى بِعِبَادِه، فَانْتَقَيْتُهَا وَحَاوَلْتُ جَعْلَهَا فِي الحَاشِيَةِ عَلَى حَسَبِ مَا يُنَاسِبُ المَعْنَى، وَالله المُوَفِّق.

كَمَا لَا يَفُوتُنِي أَنْ أَتَقَدَّمَ بِالشُّكْرِ الجَزِيلِ لِشَيْخِنَا عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ عَبْدِ المُحْسِنِ البَدْر حَفِظَهُ الله عَلَى مُلَاحَظَاتِهِ

---

(٣) «الفَوَائِد» (ص ٩٩).

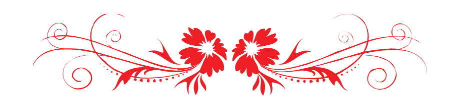
وَتَوْجِيهَاتِهِ وَتَشْجِيعِهِ عَلَى هَذَا العَمَلِ(٤).

هَذَا؛ وَاللهَ الكَرِيمَ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَذَا الجُهْد، وَأَنْ يَجْعَلَهُ لِوَجْهِهِ خَالِصًا وَلِسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُطَابِقًا، إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى خَيْرُ مَسْؤُول، وَهُوَ أَهْلُ الرَّجَاءِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيل.

مُحِبُّكُم فِي الله

ابو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr



---

(٤) كَانَ ذَلِكَ فِي بَيْتِهِ يَوْمِ الخَمِيس ١٣ رَبِيع الثَّانِي ١٤٤٠ هـ، المَوَافِق ٢٠/١٢/٢٠١٨.

مَدْخَلٌ:

مَعْنَى اسْمِ اللهِ اللَّطِيف:

قَال العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى (اللَّطِيف): الَّذِي لَطُفَ عِلْمُهُ حَتَّى أَدْرَكَ الخَفَايَا، وَالخَبَايَا، وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ الصُّدُور، وَمَا فِي الأَرَاضِي مِنْ خَفَايَا البُذُور وَلَطَفَ بِأَوْلِيَائِهِ، وَأَصْفِيَائِهِ، فَيَسَّرَهُمْ لِلْيُسْرَى وَجَنَّبَهُمْ العُسْرَى، وَسَهَّلَ لَهُمْ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى مَرْضَاتِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَحَفِظَهُمْ مِنْ كُلِّ سَبَبٍ وَوَسِيلَةٍ تُوصِلُ إِلَى سَخَطِهِ، مِنْ طُرُقٍ يَشْعُرُونَ بِهَا، وَمِنْ طُرُقٍ لَا يَشْعُرُونَ بِهَا، وَقَدَّرَ عَلَيْهِمْ أُمُوراً يَكْرَهُونَهَا لِيُنِيلَهُمْ مَا يُحِبُّون، فَلَطَفَ بِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ فَأَجْرَاهُمْ عَلَى عَوَائِدِهِ الجَمِيلَة، وَصَنَائِعِهِ الكَرِيمَة، وَلَطَفَ لَهُمْ فِي أُمُورٍ خَارِجَةٍ عَنْهُمْ لَهُمْ فِيهَا كُلُّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ وَنَجَاحٍ، فَاللَّطِيفُ

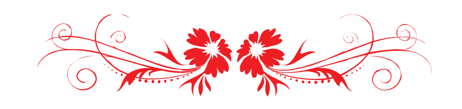
مُتَقَارِبٌ لِمَعَانِي الخَبِير، الرَّؤُوف، الكَرِيم(٥).

وَمِنْ لُطْفِهِ بِعَبْدِهِ وَوَلِيِّهِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُتِمَّ عَلَيْهِ إِحْسَانَهُ، وَيَشْمَلُهُ بِكَرَمِهِ وَيُرَقِّيهِ إِلَى المَنَازِلِ العَالِيَةِ فَيُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَيُجَنِّبُهُ العُسْرَى، وَيُجْرِي عَلَيْهِ مِنْ أَصْنَافِ المِحَنِ الَّتِي يَكْرَهُهَا وَتَشُقُّ عَلَيْهِ وَهِيَ عَيْنُ صَلَاحِهِ، وَالطَّرِيقُ إِلَى سَعَادَتِهِ، كَمَا امْتَحَنَ الأَنْبِيَاءَ بِأَذَى قَوْمِهِمْ وَبِالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَكَمَا ذَكَرَ اللهُ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَيْفَ تَرَقَّتْ بِهِ الأَحْوَالُ وَلَطَفَ اللهُ بِهِ وَلَهُ بِمَا قَدَّرَهُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الأَحْوَال الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ فِي عَاقِبَتِهَا حُسْنُ العُقْبَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَكَمَا يَمْتَحِنُ أَوْلِيَاءَهُ بِمَا يَكْرَهُونَهُ لِيُنِيلَهُمْ مَا يُحِبُّون، وَكَمْ للهِ مِنْ لُطْفٍ، وَكَرَمٍ لَا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ وَلَا تَتَصَوَّرُهُ الأَوْهَام، وَكَمْ اسْتَشْرَفَ العَبْدُ عَلَى مَطْلُوبٍ مِنْ

---

(٥) «تَوْضِيحُ الكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ» (ص١٢٣)، وَ«التَّفْسِير» (٥/ ٦٢٥).

مَطَالِبِ الدُّنْيَا مِنْ وِلَايَةٍ وَرِيَاسَةٍ أَوْ سَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ المَحْبُوبَةِ فَيَصْرِفُهُ الله عَنْهَا وَيَصْرِفُهَا عَنْهُ رَحْمَةً بِهِ لِئَلَا تَضُرَّهُ فِي دِينِهِ، فَيَظَلُّ العَبْدُ حَزِينًا مِنْ جَهْلِهِ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّه، وَلَوْ عَلِمَ مَا دَخِرَ لَهُ فِي الغَيْبِ وَأُرِيدَ إِصْلَاحُهُ لَحَمِدَ الله وَشَكَرَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الله بِعِبَادِهِ رَؤُوفٌ رَحِيم، لَطِيفٌ بِأَوْلِيَائِهِ(٦).



(٦) «الحَقُّ الوَاضِحُ المُبِين» (ص٦١)، انْظُر: «تَفْسِير أَسْمَاء الله الحُسْنَى لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي جَمْعًا وَدِرَاسَةً».

لطف الله بعبده

«وَاعْلَمْ أَنَّ اللُّطْفَ الَّذِي يَطْلُبُهُ العِبَادُ مِنَ الله بِلِسَانِ المَقَالِ، وَلِسَانِ الحَالِ هُوَ مِنَ الرَّحْمَةِ بَلْ هُوَ رَحْمَةٌ خَاصَّة، فَالرَّحْمَةُ الَّتِي تَصِلُ العَبْدَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِهَا أَوْ لَا يَشْعُرُ بِأَسْبَابِهَا هِيَ اللُّطْفُ؛ فَإِذَا قَالَ العَبْدُ: يَا لَطِيفُ الْطُفْ بِي أَوْ لِي، وَأَسْأَلُكَ لُطْفَكَ، فَمَعْنَاهُ: تَوَلَّنِي وِلَايَةً خَاصَّةً بِهَا تَصْلُحُ أَحْوَالِي الظَّاهِرَة، وَالبَاطِنَة، وَبِهَا تَنْدَفِعُ عَنِّي جَمِيعَ المَكْرُوهَاتِ مِنَ الأُمُورِ الدَاخِلِيَّةِ وَالأُمُورِ الخَارِجِيَّةِ.

فَالأُمُورُ الدَّاخِلِيَّةُ لُطْفٌ بِالعَبْدِ.

وَالأُمُورُ الخَارِجِيَّةُ لُطْفٌ لِلْعَبْدِ؛ فَإِذَا يَسَّرَ الله عَبْدَهُ وَسَهَّلَ طَرِيقَ الخَيْرِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ فَقَدْ لَطَفَ بِهِ، وَإِذَا قَيَّضَ الله

لَهُ أَسْبَابًا خَارِجِيَّةً غَيْرَ دَاخِلَةٍ تَحْتَ قُدْرَةِ العَبْدِ فِيهَا صَلَاحُهُ فَقَدْ لَطَفَ لَهُ، وَلِهَذَا لَمَّا تَنَقَّلَتْ بِيُوسُفَ عليه السلام تِلْكَ الأَحْوَالِ، وَتَطَوَّرَتْ بِهِ الأَطْوَارُ مِنْ رُؤْيَاه، وَحَسَدِ إِخْوَتِهِ لَهُ، وَسَعْيِهِمْ فِي إِبْعَادِهِ جِدًّا، وَاخْتِصَامِهِمْ بِأَبِيهِمْ ثُمَّ مِحْنَتِهِ بِالنِّسْوَةِ ثُمَّ بِالسِّجْنِ ثُمَّ بِالخُرُوجِ مِنْهُ بِسَبَبِ رُؤْيَا المَلِكِ العَظِيمَةِ، وَانْفِرَادِهِ بِتَعْبِيرِهَا، وَتَبَوُّئِهِ مِنَ الأَرْضِ حَيْثُ يَشَاء، وَحُصُولِ مَا حَصَلَ عَلَى أَبِيهِ مِنَ الابْتِلَاءِ، وَالامْتِحَانِ ثُمَّ حَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الاجْتِمَاعُ السَّارُّ، وَإِزَالَةُ الأَكْدَارِ وَصَلَاحِ حَالَةِ الجَمِيعِ وَالاجْتِبَاءُ العَظِيمُ لِيُوسُفَ؛ عَرَفَ عليه السلام أَنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ وَغَيْرَهَا لُطْفُ اللهِ لَهُمْ بِهِ فَاعْتَرَفَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [سورة يوسف] أَيْ: لُطْفُهُ تَعَالى خَاصٌّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِمَّنْ يَعْلَمُهُ تَعَالَى مَحَلًّا لِذَلِكَ وَأَهْلاً لَهُ فَلَا يَضَعُهُ إِلَّا فِي

مَحَلِّهِ(٧).

(٧) لِلْعَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ رِسَالَةٌ بِعُنْوَان: «فَوَائِدُ مُسْتَنْبَطَةَ مِنْ قِصَّةِ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ».

مَسْأَلَةٌ:

قَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ لِمَ سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ أَحْسَنَ القَصَصِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَقَاصِيصِ؟

فَقِيلَ: لِأَنَّهُ لَيْسَتْ قِصَّةٌ فِي القُرْآنِ تَتَضَمَّنُ مِنَ العِبَرِ وَالحِكَمِ مَا تَتَضَمَّنُ هَذِهِ القِصَّةُ؛ وَبَيَانُهُ قَوْلُهُ فِي آخِرِهَا: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: ١١١].

وَقِيلَ: سَمَّاهَا أَحْسَنَ القَصَصِ لِحُسْنِ مُجَاوَزَةِ يُوسُف عَنْ إِخْوَتِهِ، وَصَبْرِهِ عَلَى أَذَاهُمْ، وَعَفْوِهِ عَنْهُمْ - بَعْدَ الالْتِقَاءِ بِهِمْ - عَنْ ذِكْرِ مَا تَعَاطَوْهُ، وَكَرَمِهِ فِي العَفْوِ عَنْهُمْ، حَتَّى قَالَ: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: ٩٢].

وَقِيلَ: لِأَنَّ فِيهَا ذِكْرُ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِين، وَالجِنِّ وَالإِنْسِ وَالأَنْعَامِ وَالطَّيْرِ، وَسِيَرِ المُلُوكِ وَالمَمَالِكِ، وَالتُّجَّارِ وَالعُلَمَاءِ

=

والله أَعْلَمُ حَيْثُ يَضَعُ فَضْلَهُ فَإِذَا رَأَيْتَ الله تَعَالَى قَدْ يَسَّرَ العَبْدَ لِلْيُسْرَى، وَسَهَّلَ لَهُ طَرِيقَ الخَيْرِ، وَذَلَّلَ لَهُ صِعَابَهُ،

وَالجُهَّالِ، وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَحِيلِهِنَّ وَمَكْرِهِنَّ، وَفِيهَا ذِكْرُ التَّوْحِيدِ وَالفِقْهِ وَالسِّيَرِ وَتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، وَالسِّيَاسَةِ وَالمُعَاشَرَةِ وَتَدْبِيرِ المَعَاشِ، وَجُمَلِ الفَوَائِدِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلْدِّينِ وَالدُّنْيَا.

وَقِيلَ: لِأَنَّ فِيهَا ذِكْرُ الحَبِيبِ وَالمَحْبُوبِ وَسِيَرِهِمَا.

وَقِيلَ: ﴿أَحۡسَنَ﴾ هُنَا بِمَعْنَى أَعْجَب، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ المَعَانِي: إِنَّمَا كَانَتْ أَحْسَنَ القَصَصِ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ ذُكِرَ فِيهَا كَانَ مَآلُهُ السَّعَادَة؛ انْظُرْ إِلَى يُوسُف وَأَبِيه وَإِخْوَتِه، وَامْرَأَةَ العَزِيز؛ قِيلَ: وَالمَلَك أَيْضًا أَسْلَمَ بِيُوسُف وَحَسُن إِسْلَامه، وَمُسْتَعْبِر الرُّؤْيا السَّاقِي، وَالشَّاهِد فِيمَا يُقَالُ: فَمَا كَانَ أَمْرُ الجَمِيعِ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ.

«الجَامِعُ لِأَحْكَام القُرْآن» (٩/ ١٢٠).

وَرَحِمَ الله الإِمَامَ ابْنَ القَيِّمِ لَمَّا قَالَ: «وَفِي هَذِه القِصَّة مِنَ العِبَر وَالفَوَائِدِ وَالحِكَم مَا يَزِيدُ عَلَى أَلْف فَائِدَة لَعَلَّنَا إِنْ وَفَّقَنَا الله أَنْ نُفْرِدَهَا فِي مُصَنَّفٍ مُسْتَقِلٍّ» «الجَوَابُ الكَافِي» (ص١٤٩).

وَفتَحَ لَهُ أَبْوَابَهُ، وَنَهجَ لَهُ طُرُقَهُ، وَمَهَّدَ لَهُ أَسْبَابَهُ، وَجَنَّبَهُ العُسْرَى فَقَدْ لَطَفَ بِهِ.

وَمِنْ **لُطفِهِ بِعبَادِهِ** المُؤْمِنِينَ أَنَّهُ يَتوَلَّاهُمْ بِلُطْفِهِ فَيُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ مِنْ ظُلُمَاتِ الجَهْلِ، وَالكُفْرِ، وَالبِدَعِ، وَالمَعَاصِي إِلَى نُورِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ(٨).

---

(٨) كَمَا قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِه»: «ثُمَّ ذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي أَوْصَلَهُمْ إِلَى ذَلِكَ فقَالَ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَهَذَا يَشْمُل وِلَايَتهمْ لِرَبِّهِمْ، بِأَنْ تَوَلَّوْهُ فَلَا يَبْغُونَ عَنْهُ بَدَلًا وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ أَحَدًا، قَدْ اتَّخَذُوهُ حَبِيبًا وَوَلِيًّا، وَوَالُوا أَوْلِيَاءَهُ وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ، **فَتَوَلَّاهُمْ بِلُطْفِهِ** وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِإِحْسَانِهِ، =

وَمِنْ **لُطْفِهِ** أَنَّهُ يَرْحَمُهُمْ مِنْ طَاعَةِ أَنْفُسِهِمْ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ الَّتِي هَذَا طَبْعُهَا وَدَيْدَنُهَا فَيُوَفِّقُهُمْ لِنَهْيِ النَّفْسِ عَنْ الهَوَى وَيَصْرِفُ عَنْهُمْ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ فَتُوجِدُ أَسْبَابَ الفِتْنَةِ، وَجَوَاذِبِ المَعَاصِي وَشَهَوَاتِ الغَيِّ فَيُرْسِلُ الله عَلَيْهَا بُرْهَانَ لُطْفِهِ وَنُورَ إِيمَانِهِمْ الَّذِي مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ فَيَدَعُونَهَا مُطْمَئِنِّينَ لِذَلِكَ مُنْشَرِحَةً لِتَرْكِهَا صُدُورُهُمْ.

وَمِنْ **لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ** أَنَّهُ يُقَدِّرُ أَرْزَاقَهُمْ بِحَسَبِ عِلْمِهِ بِمَصْلَحَتِهِمْ لَا بِحَسَبِ مُرَادَاتِهِمْ فَقَدْ يُرِيدُونَ شَيْئًا وَغَيْرُهُ أَصْلَحُ، فَيُقَدِّرُ لَهُمْ الأَصْلَحَ وَإِنْ كَرِهُوهُ لُطْفًا بِهِمْ، وَبِرًّا،

فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي وَالجَهْلِ إِلَى نُورِ الإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَالعِلْمِ، وَكَانَ جَزَاؤُهُمْ عَلَى هَذَا أَنْ سَلَّمَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ القَبْرِ وَالحَشْرِ وَالقِيَامَةِ إِلَى النَّعِيمِ المُقِيمِ وَالرَّاحَةِ وَالفُسْحَةِ وَالسُّرُور »«تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» (ص١١١).

وَإِحْسَانًا(٩): ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ

---

(٩) كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١ ﴾ [سُورَةُ يُونُسَ].

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ بِعِبَادِهِ، أَنَّهُ لَوْ عَجَّلَ لَهُمْ الشَّرَّ إِذَا أَتَوْا بِأَسْبَابِهِ، وَبَادَرَهُمْ بِالعُقُوبَةِ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا يُعَجِّلُ لَهُمْ الخَيْرَ إِذَا أَتَوْا بِأَسْبَابِهِ ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ أَيْ: لَمَحَقَتْهُمْ العُقُوبَة، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يُمْهِلُهُمْ وَلَا يُهْمِلُهُمْ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حُقُوقِهِ، فَلَوْ يُؤَاخِذُ الله النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهرِهَا مِنْ دَابَّةٍ.

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا، أَنَّ العَبْدَ إِذَا غَضِبَ عَلَى أَوْلَادِهِ أَوْ أَهْلَهِ أَوْ مَالِهِ، رُبَّمَا دَعَا عَلَيْهِم دَعْوَةً لَوْ قُبْلَتْ مِنْهُ لَهَلَكُوا، وَلَأَضَرَّهُ ذَلِكَ غَايَةَ الضَّرَر، وَلَكِنَّهُ تَعَالى حَلِيمٌ حَكِيمٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ أَيْ: لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَة، فَلِذَلِكَ لَا يَسْتَعِدُّونَ لَهَا، وَلَا يَعْلَمُونَ مَا يُنَجِّيهِمْ مِنْ عَذَابِ الله، ﴿ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ ﴾ أَيْ: بَاطِلُهُمْ، الَّذِي جَاوَزُوا بِهِ الحَقَّ وَالحَدَّ» «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن»

=

ﭐلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى].

﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ [الشورى][10].

وَمِنْ لُطْفِهِ بِهِمْ أَنَّهُ يُقَدِّرُ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ المَصَائِبِ، وَضُرُوبَ المِحَنِ، والابْتِلَاءِ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ الشَّاقِ رَحْمَةً بِهِمْ، وَلُطْفًا، وَسَوْقًا إِلَى كَمَالِهِمْ، وَكَمَالِ نَعِيمِهِمْ: ﴿وَعَسَىٰٓ

(ص٣٥٩).

(١٠) قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَكَرَ أَنَّ مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ، أَنَّهُ لَا يُوَسِّعُ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا سِعَةً، تَضُرُّ بِأَدْيَانِهِمْ فَقَالَ: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أَيْ: لَغَفَلُوا عَنْ طَاعَةِ الله، وَأَقْبَلُوا عَلَى التَّمَتُّعِ بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا، فَأَوْجَبَتْ لَهُمُ الإِكْبَاب عَلَى مَا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ، وَلَوْ كَانَ مَعْصِيَةً وَظُلْمًا. ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُ﴾ بِحَسَبِ مَا اقْتَضَاهُ لُطْفُهُ وَحِكْمَتُهُ ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ [الشورى]» «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» (ص٧٥٨).

أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

وَمِنْ لَطِيفِ لُطْفِهِ بِعَبْدِهِ إِذَا أَهَّلَهُ لِلْمَرَاتِبِ العَالِيَةِ، وَالمَنَازِلِ السَّامِيَةِ الَّتِي لَا تُدْرَكُ بِالأَسْبَابِ العِظَامِ الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا أَرْبَابُ الهِمَمِ العَالِيَةِ، وَالعَزَائِمِ السَّامِيَةِ أَنْ يُقَدِّرَ لَهُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ بَعْضَ الأَسْبَابِ المُحْتَمَلَةِ المُنَاسِبَةِ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي أُهِّلَ لَهَا لِيَتَدَرَّجَ مِنَ الأَدْنَى إِلَى الأَعْلَى، وَلِتَتَمَرَّنَ نَفْسُهُ وَيَصِيرَ لَهُ مَلَكَةٌ مِنْ جِنْسِ ذَلِكَ الأَمْرِ وَهَذَا كَمَا قَدَّرَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ[11] وَمُحَمَّدٍ ﷺ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ

(١١) قِصَّةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قِصَّةٌ عَظِيمَةُ الفَوَائِد، غَنِيَّةٌ بِالدُّرُوسِ وَالعِبَرِ؛ وَلِذَا فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَكَرَهَا فِي العَدِيدِ مِنْ المَوَاضِعِ فِي كِتَابِهِ الكَرِيم، وَيَظْهَرُ جَلِيًّا لُطْفُ الله تَعَالَى بِعَبْدِه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آياتٍ كَثِيرَةٍ، وَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ مَا ذَكَرَهُ العَلَّامَةُ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِه عِنْدَ قَوْلِ =

الله تَعالَى:

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [سُورَةُ القَصَصِ].

فقدَّر اللّه تَعالَى، أَنَّهُ نَفعَ امْرَأَةَ فِرْعَون، الَّتِي قَالَتْ تِلْكَ المَقَالَة، فَإِنَّهُ لَمَّا صَارَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهَا، وَأَحَبَّتْهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَلَمْ يَزَلْ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الوَلَدِ الشَّفِيقِ حَتَّى كَبُرَ وَنَبَّأَهُ اللّه وَأَرْسَلَهُ، فَبَادَرَتْ إِلَى الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ بِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

قَالَ اللّه تَعالَى هَذِهِ المُرَاجَعَات وَالمُقَاوَلَات فِي شَأْنِ مُوسَى: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ مَا جَرَى بِهِ القَلَم، وَمَضَى بِهِ القَدَر، مِنْ وُصُولِهِ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ **لُطْفِهِ تَعَالى**، فَإِنَّهُمْ لَوْ شَعَرُوا، لَكَانَ لَهُمْ وَلَهُ، شَأْنٌ آخَر» «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص ٦١٢).

- **وَذَكَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لُطْفَهُ بِنَبِيِّهِ يُونُس** عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا =

عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨﴾ [سُورَةُ الصَّافَّاتِ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ تُظِلُّهُ بِظِلِّهَا الظَّلِيلِ، لِأَنَّهَا بَادِرَةٌ بَارِدَةُ الظِّلَالِ، وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهَا ذُبَابٌ، **وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِهِ**، وَبِرِّهِ.

ثُمَّ لَطَفَ بِهِ لُطْفًا آخَرَ، وَامْتَنَّ عَلَيْهِ مِنَّةً عُظْمَى، وَهُوَ أَنَّهُ أَرْسَلَهُ ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾ مِنَ النَّاسِ ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ عَنْهَا، وَالمَعْنَى أَنَّهُمْ إِنْ مَا زَادُوا لَمْ يَنْقُصُوا، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّه تَعَالَى.

﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ فَصَارُوا فِي مَوَازِينِهِ؛ لِأَنَّهُ الدَّاعِي لَهُمْ.

﴿فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ بِأَنْ صَرَفَ اللَّه عَنْهُمْ العَذَابَ بَعْدَمَا انْعَقَدَتْ أَسْبَابُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ [سُورَةُ يُونُسَ]» «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَن» (ص ٧٠٨).

- وَذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ **لُطْفَهُ بِنَبِيِّهِ** دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

=

قَالَ الله جَلَّ جَلَالُهُ:

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [سُورَةُ صٓ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا الذَّنْبُ الَّذِي صَدَرَ مِنْ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ يَذْكُره اللّه لِعَدَمِ الحَاجَةِ إِلَى ذِكْرِهِ، فَالتَّعَرُّضُ لَهُ مِنْ بَابِ التَّكَلُّفِ، وَإِنَّمَا الفَائِدَةُ مَا قَصَّهُ اللّه عَلَيْنَا **مِنْ لُطْفِهِ بِهِ** وَتَوْبَتِهِ وَإِنَابَتِهِ، وَأَنَّهُ ارْتَفَعَ مَحلُّهُ، فَكَانَ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَحْسَنَ مِنْهُ قَبْلَهَا» «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص ٧١١).

- وَذَكَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ **لُطْفَهُ بِأَهْلِ الكَهْفِ**:

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [سُورَةُ الكَهْفِ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ صَبَّرْنَاهُمْ وَثَبَّتْنَاهُمْ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ مُطْمَئِنَّةً فِي تِلْكَ الحَالَةِ المُزْعِجَةِ، **وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى بِهِمْ** وَبِرِّهِ، أَنْ وَفَّقَهُمْ لِلْإِيمَانِ وَالهُدَى، وَالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ» «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص ٤٧٢).

- صَلَوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِمْ - فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ رِعَايَةَ الغَنَمِ لِيَتَدَرَّجُوا مِنْ رِعَايَةِ الحَيَوَانِ البَهِيم وَإِصْلَاحِهِ(١٢) إِلَى

---

(١٢) كَمَا أَنَّ مِنْ لُطْفِ الله تَعَالَى بِعِبَادِهِ تَيْسِيرُ هَذِهِ الأَنْعَام وَغَيْرهَا لِبَنِي الإِنْسَان؛ قَالَ الله ﷻ:

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣﴾ [سُورَةُ الزُّخْرُفِ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: « ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ أَيْ: الأَصْنَاف جَمِيعهَا، مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُون، مِنْ لَيْلٍ وَنَهَارٍ، وَحَرٍّ وَبَرَدٍ، وَذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ أَيْ: السُّفُن البَحْرِيَّة، الشِّرَاعِيَّة وَالنَّارِيَّة، مَا تَرْكَبُونَ ﴿وَ﴾ مِنَ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ وَهَذَا شَامِلٌ لِظُهُورِ الفُلْكِ وَلِظُهُورِ الأَنْعَامِ، أَيْ: لِتَسْتَقِرُّوا عَلَيْهَا، ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ بِالاعْتِرَافِ بِالنِّعْمَةِ لِمَنْ سَخَّرَهَا، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ تَعَالَى بِذَلِكَ، وَلِهَذَا

=

رِعَايَةِ بَنِي آدَمَ وَدَعْوَتِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ[١٣].

قَالَ: ﴿وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أَيْ: لَوْلَا تَسْخِيرُهُ لَنَا مَا سَخَّرَ مِنَ الفُلْكِ، وَالأَنْعَامِ، مَا كُنَّا مُطِيقِينَ لِذَلِكَ وَقَادِرِينَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ مِنْ **لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ تَعَالَى**، سَخَّرَهَا وَذَلَّلَهَا وَيَسَّرَ أَسْبَابَهَا» «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص٧٦٣).

(١٣) وَلِلْإِمَامِ عَبْدِ الحَمِيد بْنِ بَادِيس كَلَام نَفِيس فِي هَذَا المَعْنَى، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ [أَيْ النَّبِي ﷺ] يَرْعَى غَنَمًا لِأَهْلِ مَكَّة لِقَوْمِهِ وَأَهْلِ بَلَدِهِ بِالقَرَارِيط حَتَّى لَا يَكُون كَلًّا عَلَى عَمِّه.

هَذَا هُوَ المُهَيَّأُ بِرِعَايَتِهِ الغَنَم، لِرَعَايَةِ الأُمَم، هَذَا هُوَ المَنْشَأُ عَلَى الكَدِّ فِي العَمَل الصَّغِير، إِعْدَاداً لَهُ لِلْنُّهُوضِ بِأَعْبَاءِ العَمَلِ الكَبِير، هَذَا هُوَ العَرَبِيُّ عَلَى العَمَلِ بِالفِلْس، لِيَشُبَّ عَلَى خُلُقِ الاعْتِمَادِ عَلَى النَّفْس، هَذَا هُوَ المُعَدُّ لِخَتْمِ النُّبُوَّة وَالرِّسَالَة وَإِظْهَارِ أَكْمَل مِثَالٍ لِلْبَشَرِيَّة، يَحْمِلُ أَعْظَمَ آيَةٍ مِنْ وَحْيِ الله، وَيَدْعُو إِلَى السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ وَأَقْصَى مَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كَمَال» «آثَارُهُ» (٤/ ٢٦٦).

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

=

ﭐلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: «أَيْ: وَمَا الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنَ الإِيمَانِ، وَالحَالُ أَنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلُ الرُّسُلِ وَأَكْرَمُ دَاعٍ دَعَا إِلَى اللهِ يَدْعُوكُمْ، فَهَذَا مِمَّا يُوجِبُ المُبَادَرَةَ إِلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ، وَالتَّلْبِيَةِ وَالإِجَابَةِ لِلْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ، وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ بِالإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين، وَمَعَ ذَلِكَ، **مِنْ لُطْفِهِ وَعِنَايَتِهِ بِكُمْ**، أَنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِمُجَرَّدِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ العَالَمِ، بَلْ أَيَّدَهُ بِالمُعْجِزَاتِ، وَدَلَّكُمْ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ بِالآيَاتِ البَيِّنَاتِ، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ أَيْ: ظَاهِرَات تَدُلُّ أَهْلَ العُقُولِ عَلَى صِدْقِ كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ وَأَنَّهُ حَقُّ اليَقِين، ﴿لِّيُخۡرِجَكُم﴾ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْكِمْ، وَمَا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ.

﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ٱلنُّورِ﴾ أَيْ: مِنْ ظُلُمَاتِ الجَهْلِ وَالكُفْرِ، إِلَى نُورِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ بِكُمْ وَرَأْفَتِهِ، حَيْثُ كَانَ أَرْحَمَ بِعِبَادِهِ مِنَ الوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾» «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص ٨٨٣).

وَكَذَلِكَ يُذِيقُ عَبْدَهُ حَلَاوَةَ بَعْضِ الطَّاعَاتِ فَيَنْجَذِبُ وَيَرْغَبُ وَيَصِيرُ لَهُ مَلَكَةً قَوِيَّةً بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى طَاعَاتٍ أَجَلَّ مِنْهَا وَأَعْلَى وَلَمْ تَكُنْ تَحْصُلُ بِتِلْكَ الإِرَادَةِ السَّابِقَةِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الإِرَادَةِ وَالرَّغْبَةِ التَّامَّةِ.

وَمِنْ **لُطْفِهِ بِعَبْدِهِ** أَنْ يُقَدِّرَ لَهُ أَنْ يَتَرَبَّى فِي وِلَايَةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالعِلْمِ وَالإِيمَانِ وَبَيْنَ أَهْلِ الخَيْرِ لِيَكْتَسِبَ مِنْ أَدَبِهِمْ، وَتَأْدِيبِهِمْ وَلْيَنْشَأَ عَلَى صَلَاحِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ(١٤) كَمَا

---

(١٤) كَمَا أَنَّ مِنْ لُطْفِ الله تَعَالَى بِعِبَادِهِ أَنْ أَرْشَدَهُمْ إِلَى أَحْسَنِ الأَخْلَاقِ وَالآدَاب، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ نَقِيضِهَا الَّتِي هِيَ مِنْ سَبِيلِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[سُورَةُ الإِسْرَاءِ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: «**وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ** حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ المُوجِبَةِ لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة» «تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص ٤٦٠).

امْتَنَّ الله عَلَى مَرْيَمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٣٧]، إِلَى آخِرِ قِصَّتِهَا[١٥].

---

(١٥) قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: « مِنَ الفَائِدَةِ وَالحِكْمَةِ فِي قَصِّهِ عَلَيْنَا أَخْبَارَ هَؤُلَاءِ الأَصْفِيَاءِ أَنْ نُحِبَّهُمْ وَنَقْتَدِي بِهِمْ، وَنَسْأَلَ الله أَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا وَفَّقَهُمْ، وَأَنْ لَا نَزَالَ نَزْرِي أَنْفُسَنَا بِتَأَخُّرِنَا عَنْهُمْ وَعَدَمِ اتِّصَافِنَا بِأَوْصَافِهِمْ وَمَزَايَاهُمْ الجَمِيلَة، **وَهَذَا أَيْضًا مِنْ لُطْفِهِ بِهِمْ**، وَإِظْهَارِهِ الثَّنَاء عَلَيْهِمْ فِي الأَوَّلِين وَالآخِرِين، وَالتَّنْوِيه بِشَرَفِهِمْ، فَلِلَّه مَا أَعْظَم جُوده وَكَرَمه وَأَكْثَر فَوَائِد مُعَامَلَتِه، لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الشَّرَفِ إِلَّا أَنَّ أَذْكَارَهُمْ مُخَلَّدَة وَمَنَاقِبُهم مُؤَبَّدة لَكَفَى بِذَلِكَ فَضْلًا» «تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص ١٢٨).

وَقَدْ ذَكَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي القُرْآنِ العَدِيدَ مِنْ قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ، وَكَيْفَ لَطَفَ بِعِبَادِهِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، يَعْلَمُونَ صِدْقَهُمْ، وَيَفْهَمُونَ قَوْلَهُمْ.

=

وَمِنْ ذَلِكَ إِذَا نَشَأَ بَيْنَ أَبَوَيْنِ صَالِحَيْنِ[١٦] وَأَقَارِبَ أَتْقِيَاءَ،

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ [سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ مَا أَرْسَلَ رَسُولًا ﴿ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَيَتَمَكَّنُونَ مِنْ تَعَلُّمِ مَا أَتَى بِهِ، بِخِلَافِ مَا لَوْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ لِسَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ يَتَعَلَّمُوا تِلْكَ اللُّغَةَ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا، ثُمَّ يَفْهَمُونَ عَنْهُ، فَإِذَا بَيَّنَ لَهُمْ الرَّسُولُ مَا أُمِرُوا بِهِ، وَنُهُوا عَنْهُ وَقَامَتْ عَلَيْهِمْ حُجَّةُ الله ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ مِمَّنْ لَمْ يَنْقَدْ لِلْهُدَى، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ اخْتَصَّهُ بِرَحْمَتِهِ.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الَّذِي - مِنْ عِزَّتِهِ - أَنَّهُ انْفَرَدَ بِالهِدَايَةِ وَالإِضْلَال، وَتَقْلِيبِ القُلُوبِ إِلَى مَا شَاءَ، وَمِنْ حِكْمَتِهِ أَنَّهُ لَا يَضَعُ هِدَايَتَهُ وَلَا إِضْلَالَهُ إِلَّا بِالمَحَلِّ اللَّائِقِ بِهِ»«تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَن» (ص٤٢١).

(١٦) قَالَ الله ﷻ:

=

أَوْ فِي بَلَدِ صَلَاحٍ أَوْ وَفَّقَهُ الله لِمُقَارَنَةِ أَهْلِ الخَيْرِ وَصُحْبَتِهِمْ، أَوْ لِتَرْبِيَةِ العُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ لُطْفِهِ بِعَبْدِهِ؛ فَإِنَّ صَلَاحَ العَبْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى أَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا بَلْ مِنْ أَكْثَرِهَا وَأَعْظَمِهَا نَفْعًا هَذِهِ الحَالَة.

وَمِنْ ذَلِكَ إِذَا نَشَأَ العَبْدُ فِي بَلَدِ أَهْلِهِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْقَافِ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: «**هَذَا مِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ** وَشُكْرِهِ لِلْوَالِدَيْنِ أَنْ وَصَّى الأَوْلَادَ وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ أَنْ يُحْسِنُوا إِلَى وَالِدِيهِمْ بِالقَوْلِ اللَّطِيفِ وَالكَلَامِ اللَّيِّنِ وَبَذْلِ المَالِ وَالنَّفَقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الإِحْسَانِ» «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَن» (ص ٧٨١).

السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ هَذَا لُطْفٌ لَهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَكُونَ مَشَايِخَهُ الَّذِينَ يَسْتَفِيدُ مِنْهُمْ الأَحْيَاء مِنْهُمْ وَالأَمْوَات أَهْلُ سُنَّةٍ وَتُقى؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ اللُّطْفِ الرَّبَّانِّي.

وَلَا يَخْفَى لُطْفُ البَارِي فِي وُجُودِ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي أَثْنَاءِ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَتَبِيين اللهِ بِهِ وَبِتَلَامِذَتِهِ(١٧) مِنَ الخَيْرِ الكَثِيرِ وَالعِلْمِ الغَزِيرِ وَجِهَادِ أَهْلِ

---

(١٧) أَمَّا تَلَامِيذُ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ فَهُمْ كُثُر، وَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ:

المِزِّي، يُوسُف بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَن ، ت٧٤٢.

الذَّهَبِي، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَد، ت ٧٤٨ هـ .

ابْنُ القَيِّم، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْر، ت ٧٥١ هـ .

ابْنُ كَثِير، إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَر، ت ٧٧٤هـ .

ابْنُ عَبْدِ الهَادِي، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَد، ت ٤٧٧ هـ.

وَكَلَامُ العَلَّامَةِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ هُنَا عَنْ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّة يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ

=

البِدَعِ وَالتَّعْطِيلِ وَالكُفْرِ ثُمَّ انْتِشَارُ كُتُبِهِ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنْ لُطْفِ اللهِ لِمَنْ انْتَفَعَ بِهَا وَأَنَّهُ يَتَوَقَّفُ خَيْرٌ كَثِيرٌ عَلَى وُجُودِهَا فَلِلَّهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ وَالفَضْلُ.

وَمِنْ لُطْفِ اللهِ بِعَبْدِهِ أَنْ يَجْعَلَ رِزْقَهُ حَلَالاً فِي رَاحَةٍ(١٨) وَقَنَاعَةٍ يَحْصُلُ بِهِ المَقْصُودُ وَلَا يَشْغُلُهُ عَمَّا خُلِقَ لَهُ مِنَ

وَعَلَى كُتُبِهِ الَّتِي بَلَغَتْ الآفَاقَ؛ بَلْ شُرِحَتْ وَدُرِّسَت، وَقَدْ نَفَعَ اللهُ كَذَلِكَ بِطُلَّابِهِ العُلَمَاءِ: كَمُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ العُثَيْمِين ، وَعَبْدِ اللهِ البَسَّام، وَعَبْدِ العَزِيزِ السَّلْمَان، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَقِيل، وَغَيْرِهِمْ؛ رَحِمَ اللهُ الجَمِيع.

(١٨) وَمِنْ لُطْفِ اللهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الأُمَّةِ فِي تَيْسِيرِ رِزْقِهَا: أَحَلَّ لِنَبِيِّهَا الغَنَائِمَ، كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِي» (٣١٢٢)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ**»، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ :٦٩]«**وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الأُمَّة**، أَنْ أَحَلَّ لَهَا الغَنَائِمَ وَلَمْ يُحِلَّهَا لِأُمَّةٍ قَبْلَهَا» «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص٣٢٦).

العِبَادَةِ وَالعِلْمِ وَالعَمَلِ؛ بَلْ يُعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُفَرِّغُهُ وَيُرِيحُ خَاطِرَهُ وَأَعْضَاءَهُ وَلِهَذَا مِنْ **لُطْفِ الله تَعَالى لِعَبْدِهِ** أَنَّهُ رُبَّمَا طَمَحَتْ نَفْسُهُ لِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي يَظُنُّ فِيهَا إِدْرَاكُ بُغْيَتِهِ فَيَعْلَمُ الله تَعَالَى أَنَّهَا تَضُرُّهُ وَتَصُدُّهُ عَمَّا يَنْفَعُهُ فَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَيَظَلُّ العَبْدُ كَارِهًا وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ رَبَّهُ قَدْ لَطَفَ بِهِ حَيْثُ أَبْقَى لَهُ الأَمْرَ النَّافِعَ وَصَرَفَ عَنْهُ الأَمْرَ الضَّارَ وَلِهَذَا كَانَ الرِّضَا بِالقَضَاءِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ مِنْ أَعْلَى المَنَازِلِ.

وَمِنْ **لُطْفِ الله بِعَبْدِهِ** إِذَا قَدَّرَ لَهُ طَاعَةً جَلِيلَةً لَا تُنَالُ إِلَّا بِأَعْوَانٍ أَنْ يُقَدِّرَ لَهُ أَعْوَانًا عَلَيْهَا وَمُسَاعِدِينَ عَلَى حَمْلِهَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [سُورَةُ طه].

وَكَذَلِكَ امْتَنَّ عَلَى عِيسَى بِقَوْلِهِ: ﴿ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ].

وَامْتَنَّ عَلَى سَيِّدِ الخَلْقِ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [سُورَةُ]، وَهَذَا لُطْفٌ لِعَبْدِهِ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهِ.

وَمِنْ هَذَا **لُطْفُ** اللهِ **بِالهَادِينَ** إِذَا قَيَّضَ اللهُ مَنْ يَهْتَدِي بِهُدَاهُمْ وَيَقْبَلُ إِرْشَادَهُمْ فَتَتَضَاعَفُ بِذَلِكَ الخَيْرَاتُ وَالأُجُورُ الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا العَبْدُ بِمُجَرَّدِ فِعْلِهِ بَلْ هِيَ مَشْرُوطَةٌ بِأَمْرٍ خَارِجِيٍّ.

وَمِنْ **لُطْفِ** اللهِ **بِعَبْدِهِ** أَنْ يُعْطِيَ عَبْدَهُ مِنَ الأَوْلَادِ، وَالأَمْوَالِ، وَالأَزْوَاجِ مَا بِهِ تَقَرُّ عَيْنُهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَحْصُلُ لَهُ السُّرُورُ، ثُمَّ يَبْتَلِيهِ بِبَعْضِ ذَلِكَ وَيَأْخُذُهُ، وَيُعَوِّضُهُ عَلَيْهِ

الأَجْرَ العَظِيمَ إِذَا صَبرَ وَاحْتَسَبَ فَنِعْمَةُ الله عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ عَلَى هَذَا الوَجْهِ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ فِي وُجُودِهِ وَقَضَاءُ مُجَرَّدِ وَطَرِهِ الدُّنْيَوِيِّ مِنْهُ وَهَذَا أَيْضًا خَيْرٌ وَأَجْرٌ خَارِجٌ عَنْ أَحْوَالِ العَبْدِ بِنَفْسِهِ بَلْ هُوَ لُطْفٌ مِنَ الله لَهُ قَيَّضَ لَهُ أَسْبَابًا أَعَاضَهُ[١٩] عَلَيْهَا الثَّوَابَ الجَزِيلَ وَالأَجْرَ الجَمِيلَ.

وَمِنْ لُطْفِ الله بِعَبْدِهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُ بِبَعْضِ المَصَائِبِ فَيُوَفِّقُهُ لِلْقِيَامِ بِوَظِيفَةِ الصَّبْرِ فِيهَا فَيُنِيلُهُ دَرَجَاتٍ عَالِيَةٍ لَا يُدْرِكُهَا بِعَمَلِهِ[٢٠]، وَقَدْ يُشَدِّدُ عَلَيْهِ الابْتِلَاءَ بِذَلِكَ كَمَا فَعَلَ بِأَيُّوبَ

---

(١٩) أَيْ عَوَّضَهُ عَلَى ذَلِكَ.

(٢٠) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلاَهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٣٠٩٢)، وَقَالَ الأَلْبَانِي: صَحِيحٌ لِغَيْرِه فِي «صَحِيح التَّرْغِيب (٣٤٠٩).

عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُوجِدُ فِي قَلْبِهِ حَلَاوَةَ رُوحِ الرَّجَاءِ وَتَأْمِيلِ الرَّحْمَةِ وَكَشْفِ الضُّرِّ فَيَخِفُّ أَلَمُهُ وَتَنْشُطُ نَفْسُهُ(٢١).

---

(٢١) قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالله تَعَالَى يَبْتَلِي عَبْدَهُ لِيَسْمعَ شَكْوَاه وَتَضُرَّعَهُ وَدُعَاءَه، وَقَدْ ذَمَّ سُبْحَانَهُ مَنْ لَمْ يَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ وَلَمْ يَسْتَكِنْ لَهُ وَقْتَ البَلَاء؛ كَمَا قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ]. .. وَهُوَ تَعَالَى يَمْقُتُ مَنْ يَشْكُوهُ إِلَى خَلْقِهِ وَيُحِبُّ مَنْ يَشْكُو مَا بِهِ إِلَيْهِ، وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: كَيْفَ تَشْتَكِي إِلَيْه مَا لَيْسَ يَخْفَي عَلَيْه؟

فَقَالَ: رَبِي يَرْضَى ذُلَّ العَبْدِ إِلَيْه » «عُدَّةُ الصَّابِرِين» (ص٢٦).

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**هَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ**، وَنِعْمَتِهِ العَظِيمَة، حَيْثُ دَعَاهُمْ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِدُعَائِهِ، دُعَاءَ العِبَادَةِ، وَدُعَاءَ المَسْأَلَةِ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُمْ، وَتَوَعَّدَ مَنْ اسْتَكْبَرَ عَنْهَا فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

=

وَلِهَذَا مِنْ **لُطْفِ اللهِ بِالمُؤْمِنِينَ** أَنْ جَعَلَ فِي قُلُوبِهِمْ احْتِسَابَ الأَجْرِ فَخَفَّتْ مَصَائِبُهُمْ وَهَانَ مَا يَلْقَوْنَ مِنَ المَشَاقِ فِي حُصُولِ مَرْضَاتِهِ(٢٢).

وَمِنْ **لُطْفِ اللهِ بِعَبْدِهِ** المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ أَنْ يُعَافِيَهُ مِنْ أَسْبَابِ الابْتِلَاءِ الَّتِي تُضْعِفُ إِيمَانَهُ وَتُنْقِصُ إِيقَانَهُ.

كَمَا أَنَّ مِنْ **لُطْفِهِ بِالمُؤْمِنِ القَوِيِّ** تَهْيِئَةُ أَسْبَابِ الابْتِلَاءِ وَالامْتِحَانِ وَيُعِينُهُ عَلَيْهَا وَيَحْمِلُهَا عَنْهُ وَيَزْدَادُ بِذَلِكَ إِيمَانُهُ وَيَعْظُمُ أَجْرُهُ فَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ فِي ابْتِلَائِهِ وَعَافِيَتِهِ وَعَطَائِهِ وَمَنْعِهِ.

عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ أَيْ: ذَلِيلِينَ حَقِيرِينَ، يَجْتَمِعُ عَلَيْهِمْ العَذَابُ وَالإِهَانَةُ، جَزَاءً عَلَى اسْتِكْبَارِهِمْ» «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَنِ» (ص ٧٤١).

(٢٢) قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطَّاعَاتُ تَرْفَعُ الدَّرَجَات، وَالمَصَائِبُ تَحُطُّ السَّيِّئَات » «عُدَّةُ الصَّابِرِين» (٩٥).

وَمِنْ لُطْفِ اللهِ بِعَبْدِهِ أَنْ يَسْعَى لِكَمَالِ نَفْسِهِ مَعَ أَقْرَبِ طَرِيقٍ يُوصِلُهُ إِلَى ذَلِكَ مَعَ وُجُودِ غَيْرِهَا مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي تَبْعُدُ عَلَيْهِ فَيُيَسِّرُ عَلَيْهِ التَّعَلُّمَ مِنْ كِتَابٍ أَوْ مُعَلِّمٍ يَكُونُ حُصُولُ المَقْصُودِ بِهِ أَقْرَبُ وَأَسْهَلُ.

وَكَذَلِكَ يُيَسِّرُهُ لِعِبَادَةٍ يَفْعَلُهَا بِحَالَةِ اليُسْرِ وَالسُّهُولَةِ وَعَدَمِ التَّعْوِيقِ عَنْ غَيْرِهَا مِمَّا يَنْفَعُهُ فَهَذَا مِنَ اللُّطْفِ.

وَمِنْ لُطْفِ اللهِ بِعَبْدِهِ قَدْرُ الوَارِدَاتِ الكَثِيرَةِ وَالأَشْغَالِ المُتَنَوِّعَةِ وَالتَّدْبِيرَاتِ وَالمُتَعَلِّقَاتِ الدَّاخِلَةِ وَالخَارِجَةِ الَّتِي لَوْ قُسِّمَتْ عَلَى أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ لَعَجَزَتْ قِوَاهُمْ عَلَيْهَا أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِخُلُقٍ وَاسِعٍ وَصَدْرٍ مُتَّسِعٍ وَقَلْبٍ مُنْشَرِحٍ بِحَيْثُ يُعْطِي كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا نَظَراً ثَاقِباً وَتَدْبِيراً تَامّاً وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ وَلَا مُنْزَعِجٍ لِكَثْرَتِهَا وَتَفَاوُتِهَا؛ بَلْ قَدْ أَعَانَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا وَلَطَفَ بِهِ فِيهَا، وَلَطَفَ لَهُ فِي تَسْهِيلِ أَسْبَابِهَا

وَطُرُقِهَا، وَإِذَا أَرَدْتَّ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الأَمْرَ فَانْظُرْ إِلَى حَالَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ الَّذِي بَعَثَهُ الله بِصَلَاحِ الدَّارَيْنِ وَحُصُولِ السَّعَادَتَيْنِ وَبَعْثِهِ مُكَمِّلاً لِنَفْسِهِ وَمُكَمِّلاً لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ، وَمَعَ هَذَا مَكَّنَهُ الله بِبَعْضِ عُمُرِهِ الشَّرِيفِ فِي نَحْوِ ثُلُثِ عُمُرِهِ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ الله كُلِّهِ عَلَى كَثْرَتِهِ وَتَنَوُّعِهِ وَأَنْ يُقِيمَ لِأُمَّتِهِ جَمِيعَ دِينِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ جَمِيعَ أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ وَيُخْرِجُ الله بِهِ أُمَّةً كَبِيرَةً مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَيَحْصُلُ بِهِ مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ وَالْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ لِلْخَاصِ وَالعَامِ مَا لَا تَقُومُ بِهِ أُمَّةٌ مِنَ الْخَلْقِ.

وَمِنْ **لُطْفِ الله تَعَالَى بِعَبْدِهِ** أَنْ يَجْعَلَ مَا يَبْتَلِيهِ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ فَيَفْتَحُ لَهُ عِنْدَ وُقُوعِ ذَلِكَ بَابَ التَّوْبَةِ وَالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ إِلَى رَبِّهِ وَازْدِرَاءِ نَفْسِهِ وَاحْتِقَارِهَا وَزَوَالِ العُجْبِ وَالكِبْرِ مِنْ قَلْبِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ

الطَّاعَاتِ(٢٣).

---

(٢٣) «فَإِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ مِنْ أَبْوَابِ (التَّوْبَةِ) وَالنَّدَمِ وَالانْكِسَارِ وَالذُّلِّ وَالافْتِقَارِ وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ وَصِدْقِ اللَّجَأِ إِلَيْهِ وَدَوَامِ التَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا أَمْكَنَ مِنَ الحَسَنَاتِ مَا تَكُونُ تِلْكَ السَّيِّئَةِ بِهِ رَحْمَتُهُ حَتَّى يَقُولَ عَدُوُّ الله: يَا لَيْتَنِي تَرَكْتُهُ وَلَمْ أُوقِعْهُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلُ بَعْضِ السَّلَفِ: إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ الذَّنْبَ يَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ، وَيَعْمَلُ الحَسَنَةَ يَدْخُلُ بِهَا النَّارَ، قَالُوا: كَيْفَ؟ قَالَ: يَعْمَلُ الذَّنْبَ فَلَا يَزَالُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ مِنْهُ مُشْفِقًا وَجِلًا بَاكِيًا نَادِمًا مُسْتَحْيِيًا مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى نَاكِسَ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْكَسِرَ القَلْبِ لَهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الذَّنْبُ أَنْفَعَ لَهُ مِنْ طَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ بِمَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ الَّتِي بِهَا سَعَادَةُ العَبْدِ وَفَلَاحُهُ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ الذَّنْبُ سَبَبَ دُخُولِهِ الجَنَّة.

وَيَفْعَلُ الحَسَنَةَ فَلَا يَزَالُ يَمُنُّ بِهَا عَلَى رَبِّهِ وَيَتَكَبَّرُ بِهَا وَيَرَى نَفْسَهُ وَيُعْجَبُ بِهَا، وَيَسْتَطِيلُ بِهَا، وَيَقُولُ: فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ فَيُورِثُهُ مِنَ العُجْبِ وَالكِبْرِ وَالفَخْرِ وَالاسْتِطَالَةِ مَا يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ؛ فَإِذَا أَرَادَ الله تَعَالَى بِهَذَا المِسْكِينِ خَيْرًا ابْتَلَاهُ بِأَمْرٍ يَكْسُرُهُ بِهِ وَيُذِلُّ بِهِ عُنُقَهُ وَيُصَغِّرُ بِهِ نَفْسَهُ عِنْدَهُ، =

وَإِنْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ خَلَّاهُ وَعُجْبَهُ وَكِبْرَهُ وَهَذَا هُوَ الخذْلَان المُوجِبُ لِهَلَاكِهِ» «الوَابِلُ الصَّيِّبُ» (ص٢٧)، وَانْظُر «مَدَارِجَ السَّالِكِين» (١/ ٢٩٩).

قال الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ [سُورَةُ].

«يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مِنْ لُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ تَابَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ فَغَفَرَ لَهُمْ الزَّلَّات، وَوَفَّرَ لَهُمْ الحَسَنَات، وَرَقَّاهُمْ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَات، وَذَلِكَ بِسَبَبِ قِيَامِهِمْ بِالأَعْمَالِ الصَّعْبَةِ الشَّاقَّات، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ أَيْ: خَرَجُوا مَعَهُ لِقِتَالِ الأَعْدَاءِ فِي وَقْعَةِ تَبُوك وَكَانَتْ فِي حَرٍّ شَدِيد، وَضِيْقٍ مِنَ الزَّادِ وَالرُّكُوب، وَكَثْرَةِ عَدُوّ، مِمَّا يَدْعُو إِلَى التَّخَلُّفِ» «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص٣٥٤).

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ].

=

وَمِنْ لُطْفِهِ بِعَبْدِهِ الحَبِيب عِنْدَهُ إِذَا مَالَتْ نَفْسُهُ مَعَ شَهَوَاتِ النَّفْسِ الضَّارَّةِ وَاسْتَرْسَلَتْ فِي ذَلِكَ أَنْ يُنْقِصَهَا عَلَيْهِ وَيُكَدِّرُهَا فَلَا يَكَادُ يَتَنَاوَلُ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا مَقْرُونًا بِالمُكَدِّرَاتِ مَحْشُوًّا بِالغُصَصِ لِئَلَّا يَمِيلَ مَعَهَا كُلَّ المَيْلِ.

كَمَا أَنَّ مِنْ لُطْفِهِ بِهِ أَنْ يُلَذِّذَ لَهُ التَّقَرُّبَاتِ وَيُحَلِّي لَهُ الطَّاعَاتِ لِيَمِيلَ إِلَيْهَا كُلَّ المَيْلِ.

وَمِنْ لَطِيفِ لُطْفِ الله بِعَبْدِهِ أَنْ يَأْجُرَهُ عَلَى أَعْمَالٍ لَمْ يَعْمَلْهَا بَلْ عَزَمَ عَلَيْهَا فَيَعْزِمُ عَلَى قُرْبَةٍ مِنَ القُرَبِ ثُمَّ تَنْحَلُّ عَزِيمَتُهُ لِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ فَلَا يَفْعَلُهَا فَيَحْصُلُ لَهُ أَجْرُهَا فَانْظُرْ كَيْفَ لَطَفَ الله بِهِ فَأَوْقَعَهَا فِي قَلْبِهِ وَأَدَارَهَا فِي ضَمِيرِهِ

«**هَذَا مِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ** لَا يَمْنَعُهُ كُفْرُ العِبَادِ وَلَا اسْتِمْرَارُهُمْ فِي العِنَادِ، مِنْ أَنْ يَدْعُوَهُم إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ وَالهُدَى، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا يُهْلِكُهُمْ مِنْ أَسْبَابِ الغَيِّ وَالرَّدَى» «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص٣٢١).

وَقَدْ عَلِمَ تعالى أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهَا سَوْقًا لِبِرِّهِ لِعَبْدِهِ وَإِحْسَانِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ[٢٤].

وَأَلْطَفُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُقَيِّضَ لِعَبْدِهِ طَاعَةً أُخْرَى غَيْرَ الَّتِي عَزَمَ عَلَيْهَا هِيَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْهَا فَيَدَعُ العَبْدُ الطَّاعَةَ الَّتِي تُرْضِي رَبَّهُ لِطَاعَةٍ أُخْرَى هِيَ أَرْضَى لله مِنْهَا فَتَحْصُلُ لَهُ المَفْعُولَةُ

---

(٢٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عز وجل قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ: **فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٤٩١)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣١).

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ رَجَب رحمه الله: «وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ المُرَادَ بِالهَمِّ هُنَا: هُوَ العَزْمُ المُصَمَّمُ الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ الحِرْصُ عَلَى العَمَلِ، لَا مُجَرَّدُ الخَطْرَةِ الَّتِي تَخْطُرُ، ثُمَّ تَنْفَسِخُ مِنْ غَيْرِ عَزْمٍ وَلَا تَصْمِيمٍ» «جَامِعُ العُلُوم وَالحِكَم» (ص٣٥٣).

بِالفِعْلِ وَالمَعْزُومِ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ وَإِذَا كَانَ مَنْ يُهَاجِرُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ المَوْتُ(٢٥) قَبْلَ حُصُولِ مَقْصُودِهِ قَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ مَعَ أَنَّ قَطْعِ المَوْتِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ فَكَيْفَ بِمَنْ قَطَعَتْ عَلَيْهِ نِيَّتُهُ الفَاضِلَةُ طَاعَةً قَدْ عَزَمَ عَلَى فِعْلِهَا وَرُبَّمَا أَدَارَ اللهُ فِي ضَمِيرِ عَبْدِهِ عِدَّةَ طَاعَاتٍ كُلُّ طَاعَةٍ لَوْ انْفَرَدَتْ لَفَعَلَهَا العَبْدُ لِكَمَالِ رَغْبَتِهِ وَلَا يُمْكِنُ فِعْلَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا

---

(٢٥) كَمَا وَرَدَ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَن السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الآيَة: «فَقَدْ حَصَلَ لَهُ أَجْرُ المُهَاجِرِ الَّذِي أَدْرَكَ مَقْصُودَهُ بِضَمَانِ اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ نَوَى وَجَزَمَ، وَحَصَلَ مِنْهُ ابْتِدَاءٌ وَشُرُوعٌ فِي العَمَلِ، فَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِهِ وَبِأَمْثَالِهِ أَنْ أَعْطَاهُمْ أَجْرَهُمْ كَامِلًا وَلَوْ لَمْ يُكْمِلُوا العَمَلَ» «تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص١٩٦).

بِتَفْوِيتِ الأُخْرَى فَيُوَفِّقُهُ لِلْمُوَازَنَةِ بَيْنَهَا وَإِيثَارِ أَفْضَلِهَا فِعْلًا مَعَ رَجَاءِ حُصُولِهَا جَمِيعِهَا عَزْمًا وَنِيَّةً.

وَأَلْطَفُ مِنْ هَذَا أَنْ يُقَدِّرَ تَعَالى لِعَبْدِهِ وَيَبْتَلِيه بِوُجُودِ أَسْبَابِ المَعْصِيَةِ وَيُوَفِّرُ لَهُ دَوَاعِيهَا وَهُوَ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهَا لِيَكُونَ تَرْكُهُ لِتِلْكَ المَعْصِيَةِ الَّتِي تَوَفَّرَتْ أَسْبَابُ فِعْلِهَا مِنْ أَكْبَرِ الطَّاعَاتِ؛ كَمَا لَطَفَ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُرَاوَدَةِ المَرْأَةِ(٢٦)، وَأَحَدِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمْ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ

---

(٢٦) قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وَسَمِعْتُ شَيْخَ الإِسْلَام ابْنَ تَيْمِيَّة قدَّس الله رُوحَهُ يَقُولُ: كَانَ صَبْرُ يُوسُفَ عَنْ مُطَاوَعَةِ امْرَأَةِ العَزِيزِ عَلَى شَأْنِهَا أَكْمَل مِنْ صَبْرِهِ عَلَى إِلْقَاءِ إِخْوَتِهِ لَهُ فِي الجُبِّ وَبَيْعِهِ وَتَفْرِيقِهِمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ جَرَتْ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ لَا كَسْب لَهُ فِيهَا لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهَا حِيلَة غَيْر الصَّبْرِ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَنْ المَعْصِيَةِ: فَصَبْر اخْتِيَار وَرِضًا وَمُحَارَبَةٍ لِلْنَّفْسِ وَلَا سِيَمَا مَعَ الأَسْبَابِ الَّتِي تَقْوَى مَعَهَا دَوَاعِي المُوَافَقَة؛ فَإِنَّهُ كَانَ شَابًّا، وَدَاعِيَةُ الشَّبَابِ إِلَيْهَا قَوِيَّة، وَعَزَبًا لَيْسَ لَهُ مَا يُعَوِّضُهُ وَيَرُدُّ
=

لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ(٢٧).

شَهْوَتَهُ، وَغَرِيبًا وَالغَرِيبُ لَا يَسْتَحْيِي فِي بَلَدِ غُرْبَتِهِ مِمَّا يَسْتَحِي مِنْهُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ وَمَعَارِفِهِ وَأَهْلِهِ، وَمَمْلُوكًا وَالمَمْلُوكُ أَيْضًا لَيْسَ وَازِعُهُ كَوَازِعِ الحُرِّ، وَالمَرْأَةُ جَمِيلَةٌ وَذَاتُ مَنْصِبٍ وَهِيَ سَيِّدَتُهُ، وَقَدْ غَابَ الرَّقِيبُ، وَهِيَ الدَّاعِيَةُ لَهُ إِلَى نَفْسِهَا وَالحَرِيصَةُ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الحِرْصِ؛ وَمَعَ ذَلِكَ تَوَعَّدَتْهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِالسِّجْنِ وَالصَّغَارِ وَمَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّهَا، صَبَرَ اخْتِيَارًا وَإِيثَارًا لِمَا عِنْدَ اللهِ.. »«مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (٢/ ١٥٧).

(٢٧) كَمَا وَرَدَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٢٣)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٣١).

وَمِنْ **لُطْفِ اللهِ بِعَبْدِهِ** أَنْ يُقَدِّرَ خَيْراً وَإِحْسَانًا مِنْ عَبْدِهِ وَيُجْرِيهِ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ الآخَرِ وَيَجْعَلَهُ طَرِيقًا إِلَى وُصُولِهِ إِلَى المُسْتَحِقِّ فَيُثِيبُ اللهُ الأَوَّلَ وَالآخَرَ.

وَمِنْ **لُطْفِ اللهِ بِعَبْدِهِ** أَنْ يُجْرِيَ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا مِنَ النَّفْعِ وَخَيْراً لِغَيْرِهِ فَيُثِيبُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب فَمَنْ غَرَسَ غَرْسًا أَوْ زَرَعَ[(٢٨)] زَرْعًا فَأَصَابَتْ مِنْهُ رُوحٌ مِنَ الأَرْوَاحِ المُحْتَرَمَةِ شَيْئًا آجَرَ اللهُ صَاحِبَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي، خُصُوصًا إِذَا كَانَتْ عِنْدَهُ نِيَّةٌ حَسَنَةٌ وَعَقَدَ مَعَ رَبِّهِ عَقْداً فِي: أَنَّهُ مَهْمَا

---

(٢٨) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ» رَوَاهُ البَزَّار فِي «مُسْنَدِه» (٧٢٩٠)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٥٩١٥).

تَرَتَّبَ عَلَى مَالِهِ شَيْءٌ مِنَ النَّفْعِ فَأَسْأَلُكَ يَا رَبُّ أَنْ تَأْجُرَنِي وَتَجْعَلُه قُرْبَةً لِي عِنْدَكَ.

وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ لَهُ بَهَائِمَ انْتُفِعَ بِدَرِّهَا وَرُكُوبِهَا وَالحَمْلِ عَلَيْهَا، أَوْ مَسَاكِنَ انْتُفِعَ بِسُكْنَاهَا وَلَوْ شَيْئًا قَلِيلاً، أَوْ مَاعُون وَنَحْوهُ انْتُفِعَ بِهِ، أَوْ عَيْن شُرِبَ مِنْهَا، وَغَيْر ذَلِكَ كَكِتَابٍ انْتُفِعَ بِهِ فِي تَعَلُّمِ شَيْءٍ مِنْهُ، أَوْ مُصْحَفٍ قُرِئَ فِيهِ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.

وَمِنْ لَطْفِ اللهِ بِعَبْدِهِ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الخَيْرِ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى بَالٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِقِلَّةِ رَغْبَتِهِ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ غَفْلَةٌ مِنْهُ وَذُهُولٌ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ وَجَدَ فِي قَلْبِهِ الدَّاعِيَ إِلَيْهِ وَالمُلْفِتِ إِلَيْهِ فَفَرِحَ بِذَلِكَ وَعَرَفَ أَنَّهَا مِنْ أَلْطَافِ سَيِّدِهِ وَطُرُقِهِ الَّتِي قَيَّضَ وُصُولَهَا إِلَيْهِ فَصَرَفَ لَهَا ضَمِيرُهُ وَوَجَّهَ إِلَيْهَا فِكْرَهُ وَأَدْرَكَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ وَفَتَحَ...

وَالحَمْدُ لله أَوَّلًا وَآخِرًا وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّم.




ISBN 978-9931-616-31-3
9 789931 616313

